

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْهِبَاتِ، يَرْفَعُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ دَرَجَاتٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الصَّلَاةُ وَالنُّسُكُ وَالْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُرْسَلُ بِالرَّحْمَةِ وَالْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْمُهْتَدِينَ النَّقَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَمِنْ اتَّقَاهُ نَالَ رِضَاهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ وَيَخْتَبِرَهُمْ؛ لِيُنْكَشِفَ الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٢)، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٣)، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ (٤)، وَالْإِبْتِلَاءُ يَكُونُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَقَالَ: ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥)، فَالْعِلْمُ ابْتِلَاءً، وَالْوَلَدُ ابْتِلَاءً، وَالْمَالُ ابْتِلَاءً، وَالْمَنْصِبُ ابْتِلَاءً، وَبَعْدَ ذَلِكَ رُجُوعٌ إِلَى اللَّهِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٦).

وَفِي الْإِبْتِلَاءِ - عِبَادَ اللَّهِ - حِكْمَةٌ رَبَّانِيَّةٌ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْإِبْتِلَاءِ أَنْ يُحَرِّكَ قَلْبَ الْإِنْسَانِ لِلِاتِّصَالِ بِاللَّهِ؛ فَيَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ أَيَّمَا تَعَلَّقٍ بِاللَّهِ، فَيَرَى الْإِنْسَانَ لُطْفَ اللَّهِ وَعِنَايَتَهُ وَكَرَمَهُ رَأْيَ الْعَيْنِ، فَيَمْتَلِئُ الْقَلْبُ يَقِينًا بِاللَّهِ، وَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْإِيمَانِ، كَانَ مَا

(١) سورة النحل/ ١٢٨.
(٢) سورة الأحزاب/ ٦٢.
(٣) سورة فاطر/ ٤٣.
(٤) سورة العنكبوت/ ٢ - ٣.
(٥) سورة الأنبياء/ ٣٥.
(٦) سورة آل عمران/ ٣٠.



يُصِيبُهُ خَيْرًا وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ شَرًّا؛ لِأَنَّ التَّسْلِيمَ يَرْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَاتٍ، وَقَدْ عَجَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَالِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))، وَلَئِنْ كَانَ الْإِبْتِلَاءُ بِالشَّرِّ أَدْعَى إِلَى رُجُوعِ الْإِنْسَانِ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْإِبْتِلَاءَ بِالْخَيْرِ كَثِيرًا مَا يُنْسِي صَاحِبَهُ أَنَّهُ فِي اخْتِبَارٍ؛ فَتَأْخُذُهُ النِّعْمَةُ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ، وَيَأْخُذُ يَتَقَلَّبُ فِيهَا وَيَشْتَغِلُ بِهَا، نَاسِيًا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، غَافِلًا عَنِ الْحُقُوقِ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَلِلْمُتَحَانَ زَمَنٌ، وَمَتَى مَا انْتَهَى الزَّمَانُ فَاتَ اغْتِنَامُ الْفُرْصَةِ، وَقَدْ قِيلَ: اغْتَنِمْ رِيَاكَ إِذَا هَبَّتْ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ هُبُوبُهَا، وَبِاخْتِلَافِ الْأَدَاءِ فِي الْإِبْتِلَاءَاتِ تَفَاوُتَتِ الدَّرَجَاتُ، وَاخْتَلَفَتِ الْمَقَامَاتُ، يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَغْفِلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

إِنَّ مِنَ الْاِخْتِبَارَاتِ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ لِلأُمَّةِ اخْتِبَارَ الْقِبْلَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الْاِخْتِبَارُ الَّذِي انْكَشَفَ فِيهِ حَقُّ الْإِيمَانِ مِنْ زَانِعِهِ، وَظَهَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَلْتَقِثُ إِلَى مَقَالِ النَّاسِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ غَايَتُهُ طَلَبَ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَفِي حَادِثَةِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ دَرَسٌ مُفَادُهُ أَنَّ الطَّاعِنِينَ فِي الدِّينِ لَا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ طَعْنِهِمْ، وَلَوْ وَافَقَ أَمْرُ اللَّهِ مَا كَانُوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَهُ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَقْبِلُ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، جَاعِلًا الْكَعْبَةَ الْمَشْرِفَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ ظَهَرَ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، بَلْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا يَتَّبِعُ الْيَهُودَ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْكَعْبَةَ الْمَشْرِفَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَظَهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّهُ قَدْ تَبَعَ الْيَهُودَ، وَبَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِ بِالْمَدِينَةِ سِنَةً عَشَرَ شَهْرًا، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْمَلُونَ مَا يَعْمَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْأَسْوَدُ الْحَسَنَةُ.



وَلَمَّا جَاءَ الْأَمْرُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، مَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ إِلَّا أَنْ سَارَعُوا إِلَى الْاِمْتِثَالِ، مِنْ غَيْرِ قِيلٍ وَقَالَ، وَقَدْ ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ أَعْلَى الْأَمْثَلَةِ، فَقَدْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَمَرَّ أَحَدُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ صَلَّوْا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ بِجَمَاعَةٍ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَمْ يَبْلُغُهُمْ خَبْرُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَقَدْ تَأَخَّرَ وُصُولُ الْخَبْرِ إِلَى أَهْلِ قُبَا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي، فَنَادَى فِيهِمْ مُنَادٍ وَهُمْ يُصَلُّونَ: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنًا، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَدَارُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ))، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم إنه هو البر الكريم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتَّبَعِهِ الْأَوْفِيَاءِ الْمُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (٢)، كَانَ حَالُ الْمُنَافِقِينَ ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٣)، وَطَعَنُوا فِي الدِّينِ وَشَكَّوْا الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ قَالُوا تَبِعَ الْيَهُودَ عِنْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ: لَقَدْ اشْتَقَّ مُحَمَّدٌ إِلَى بَلَدِهِ، وَسِيرَجُ إِلَى دِينِكُمْ قَرِيبًا، فَيَا لِلْعَجَبِ! طَعَنُوا فِي الدِّينِ عِنْدَمَا اسْتَقْبَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَطَعَنُوا فِي الدِّينِ عِنْدَمَا اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ الْمُشْرِفَةَ، وَهَذَا دَابُّ الطَّاعِنِينَ فِي الدِّينِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ فَإِنَّ شُغْلَهُمُ الشَّاغِلَ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ، وَلَوْ وَافَقَ الدِّينُ مَا يَزْعُبُونَ فِيهِ، مُتَحَقِّقًا فِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (٤)، وَطَعَنَ الْيَهُودُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ التَّحْوِيلِ عَنِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَخَذُوا يُشَكِّكُونَ النَّاسَ

(١) سورة الأنفال/ ٤.
(٢) سورة البقرة/ ٢٨٥.
(٣) سورة البقرة/ ٩٣.
(٤) سورة البقرة/ ٧.



وَيَفْتِنُونَهُمْ، مُتَجَلِّيًا فِيهِمْ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ (١).

وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ - عِبَادَ اللَّهِ - مُقْتَصِرًا عَلَى طَلَبِ الرِّضْوَانِ لَهُمْ، بَلْ إِنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْ حَالِ إِخْوَانِهِمْ مِمَّنْ كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا الْكَعْبَةَ، فَقَدْ خَافُوا أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ إِخْوَانِهِمْ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ، فَجَاءَتِ الْبِشَارَةُ مِنَ اللَّهِ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكْسِيرِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)، وَقَدْ تَجَسَّدَ فِيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)).

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ

(١) سورة البقرة/ ١٢٠.
(٢) سورة البقرة/ ١٤٣.
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.



شأن الصالحين.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ وَأَيِّدْ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، واحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

